وفي نفس الوقت، انهمك المكيون بنشاط في تشكيل ائتلاف ـ يضمهم مع عدد من القبائل القوية، وبعض القبائل اليهودية ـ وهذه المرة، إعداداً لغزو المدينة ذاتها. وتفيد المصادر بأن الائتلاف ضمَّ عشرة آلاف مقاتل[٢٧]. وكان هدف الائتلاف المعلن التخلص من محمد وحركته، مرة وإلى الأبد. وقد وقع الغزو في آذار/مارس عام ٦٢٧م.

إلا أن الرسول في هذه المرة، وقد استخلص العبرة من وقعة أُحد، تبنى استراتيجية دفاعية. فقد استقر رأيه على البقاء في المدينة، على أن يحفر خندقاً حولها ـ ومن هنا جاء اسم وقعة الخندق. وفرض المؤتلفون الحصار على المدينة. لكن الخندق حال دون اجتياحها على يد القوة المتفوقة من الفرسان. وبالإضافة إلى هذه الخدعة، عمد الرسول إلى زرع الشقاق داخل الائتلاف المتعدد الانتماءات. فقدم لسيِّد قبيلة غطفان ثلث محصول المدينة من التمور رشوة له إن هو انسحب من الائتلاف، ففعل[٢٨]. وكذلك دق اسفيناً من عدم الثقة بين قبيلة قريظة اليهودية وأطراف الائتلاف الأخرى[٢٩]. واستمر الحصار أسبوعين، لكنه تفجر شقاقاً بين الحلفاء، وانتهت حملتهم المكلفة إلى إخفاق تام. وكان فشل المكيين في وقعة الخندق بداية لمرحلة جديدة من بروز نجم الرسول في الجزيرة. فمنذ تلك اللحظة، أصبح المكيون في موقع الدفاع والتراجع.

المرحلة الثالثة:

وقد دامت هذه المرحلة ثلاث سنين، وتميزت بالتعايش السلمي النسبي بين الأطراف المتحاربة في الحجاز، وخلالها مهدت الطريق أمام